حسن الخاتمة وعلاماتها

**للشيخ/ عبد الله بن سليمان آل مهنا**

**الحمدُ للهِ الذي بيدِه المُلكُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قدير، الذي خلَقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَكُم أيُّكم أحسنُ عملاً وهُوَ العزيزُ الغفور، وأشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأتوكَلُ على الحيِ الذي لا يموت، وأسبِّحُ بحمدِه وكفَى بهِ بذنوبِ عبادِه خبيراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المنزَّلُ عليهِ:( إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ). صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ الطيبينَ، صلاةً وسلاماً دائمَينِ إلى يومِ الدِّين.**

**أمَّا بعدُ فاتَّقوا اللهَ أيُّها المسلمون، واشكرُوهُ على ما منَّ بهِ عليكُم من الدِّينِ القَويم والملَّةِ الحنِيفِيَّة، واسألُوه الثباتَ حتّى المَمَات، واسألُوه تعالى أن يختِمَ لكُم بالأعمالِ الصالحةِ، فإنَّه تعالَى وصَفَ المؤمنِين من عبادِه بالإحسانِ في العملِ مع شِدَّةِ الخوفِ من الله، فقال عزَّ مِن قائِل:( إِنَّ الَّذِينَ هُم منْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُون). فوصَفَ اللهُ المؤمنينَ بإحسانِ العمَلِ مع خوفِ عدَمِ القَبُولِ، قالت عائشةُ رضي الله عنها: يا رسولَ الله هُمُ الذين يُصلُّون ويصُومُون ويُسرِفون، أي على أنفسِهم بالمعَاصِي، قال:( لا يا ابنَةَ الصدِّيق، هُمُ الذين يُصلُّونَ ويصُومُونَ ويتَصدَّقونَ، ويخافُونَ ألَّا يُتَقبَّلَ منهُم).**

**أيُّها المسلمون: إنَّ موتَ الإنسانِ على عملٍ صالحٍ مطلَبُ وأمنِيَةُ كلِّ مسلمٍ، فمَا مِن مسلِمٍ إلا ويُحبُّ ذلك ويَسعَى لهُ جُهدَهُ؛ ولقد كان ذلكَ محلَّ اهتمامِ عنايةِ عبادِ اللهِ الصالحين، وموضوعَ وصيتِهِم لمن بعدَهُم، وفي مقدمتِهم رسلُ اللهِ الكرام عليهمُ الصلاةُ والسلام، فلَقَد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقولُ:( اللّهم يا مُقلِّبَ القلوبِ ثبِّت قلبِي على دينِك)، ويقولُ:( اللّهم اجعَل خيرَ عُمُري آخرَه واجعل خيرَ عملِي خواتِمَه واجعل أبرَكَ أيامِي يومَ أن ألقَاكَ)، وكان أيضاً يقول:( إنَّما الأعمالُ بالخواتِيمِ)؛ يقولُ ذلكَ وهُوَ الموعُودُ بحُسنِ الخاتِمةِ، شكراً للهِ تعالَى، وتعليماً لأمَّتِهِ للعمَلِ بمُقتَضَاه. ويقولُ سبحانَهُ عن خلِيلِهِ إبراهيمَ وحفيدِه يعقوبَ عليهِما وعلى نبيِّنَا الصلاةُ والسلام:( وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، ويقول سبحانه عن نبيِّه يوسفَ عليه السلام:( رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ).**

**أيُّها المسلمون: ينبَغِى أن يكونَ الخوفُ من سوءِ الخاتِمةِ ماثلاً أمامَ عينِ العبدِ في كلِّ لحظةٍ لئلَّا يغترَّ أو يُعجبَ بعملِهِ، ولأجلِ أن يكونَ ذلكَ باعثاً لهُ على العمَلِ، فَقَد قال صلى الله عليه وسلم:( من خافَ أدلَج، ومن أدلَجَ بلغَ المَنزِل. ألا إنَّ سِلعَةَ اللهِ غاليةٌ ألا إنَّ سلعةَ اللهِ الجنَّة). قالَ رجلٌ لابنِ المباركِ: رأيتُ رجلاً قَتلَ رجلاً ظُلماً فقُلتُ في نَفسِي: أنا أفضَلُ من هذا، فقالَ ابنُ المباركِ: أمنُكَ على نفسِك أشدُّ من ذنبِهِ. قال الطَبَرَي: لأنَّه لا يدرِي ما يؤُولُ إليهِ الأمرُ، لعلَّ القاتِلَ يتوبُ فتُقبَلُ توبَتُه، ولعلَّ الذي أنكَرَ عليهِ يُختَمُ لهُ بخاتِمةِ السوء.**

**إنَّ من حكمةِ اللهِ تعالى أن غيَّبَ على عبادِه الحالَ التي تكونُ عليها خاتِمةُ أعمالِهم؛ لأنَّ العبدَ لو عَلِم وكان ناجِياً أُعجِبَ وكَسَل، وإن كانَ هالكاً ازدادَ عُتُواً، فحُجبَ ذلك عنهُ ليكونَ بين الخوفِ والرجاء.**

**إنَّ من الأسبابِ التي تنشَأُ عنها سوءُ الخاتمةِ، والعياذُ بالله: الإصرارَ على المعاصِي مع التسوِيفِ بالتوبَةِ، وهذهِ من أنجَحِ حِيَلِ إبليس التي يحتَالُ بها على النَّاس، فيُزيِّنُ للعاصِي أن يتمهَّلَ في التوبةِ فإنَّ أمامَهُ زماناً طويلاً، فعليهِ أن يُمتِّعَ نفسَه، وإنَّه في زهرةِ شبابِه وهكذا.. قالَ بعضُ السلف: أُنذِركُم سوفَ فإنَّها أكبرُ جنودِ إبليس. روَى مسلمٌ عن الأغَرِّ المُزَنِي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:( يا أيَّها الناسُ توبُو إلى الله، فإنِّي أتوبُ إليهِ في اليومِ مائةَ مرَّة).**

**كما أنَّ طولَ الأملِ من أسبابِ سوءِ الخاتمةِ، والواجِبُ على العبدِ أن يُقصِّرَ الأملَ في الدنيا بالمبادَرةِ بالأعمالِ الصالِحةِ، وانتظارِ الموتِ في كلِّ لحظة، فإنَّ الأنفاسَ معدُودَة، والأيامَ مقدَّرةٌ محدودة، وما فاتَ لن يعود، وعلى الطريقِ عوائقُ كثيرة، بيَّنهَا النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقوله:( بادِرُوا بالأعمالِ سبعا، هل تنتظِرُون إلا فَقراً مُنسِياً، أو غنىً مُطغِياً، أو مرضاً مُفسِداً، أو هَرماً مُفنِداً، أو موتاً مُجهِزاً، أو الدَّجالُ فشرُّ غائبٍ يُنتَظَر، أو الساعةُ، فالساعةُ أَدهَى وأَمَرّ).**

**أيُّها المسلمون: ثمَّ إنَّ الشارعَ الحكيم قد جعلَ علاماتٍ بيِّناتٍ يُستدَلُّ بها على حُسنِ الخاتِمَةِ، كتبها اللهُ لنا جميعاً بفضلِه وكرمِه، فأيُّما امرئٍ ماتَ بإحداها كانت لهُ بِشارةً، ويا لها من بِشارَة! فمِن ذلك نطقُهُ بالشهادةِ عندَ الموت، قال صلى الله عليه وسلم:( مَن كانَ آخرُ كلامِهِ لا إلهَ إلا الله دخَلَ الجنَّة). أخرجَهُ الحاكمُ بإسنادٍ حسن؛ ومِن ذلكَ أن يموتَ شهيداً من أجلِ إعلاءِ كلمةِ الله، قال الله تعالى:( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ). روَى الترمِذِي وغيرُه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:( للشهيدِ عندَ اللهِ ستُّ خِصال: يُغفَرُ لهُ في أولِ دَفعَةٍ من دمِه, ويَرَى مَقعدَهُ من الجنَّة، ويُجارُ من عذابِ القبرِ، ويأمَنُ الفزَعَ الأكبَر، ويُحلَّى حِليَةَ الإيمانِ، ويُزوَّجُ من الحورِ العينِ، ويَشفَعُ في سبعينَ إنسانٍ من أقارِبِه).**

**ومِن علاماتِ حُسنِ الخاتِمةِ: أن يكونَ آخرُ عملِه طاعةً للهِ، فقد رَوَى أحمدُ عن حذيفةَ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:( من قالَ لا إلهَ إلا الله خُتِمَ لهُ بها دخَلَ الجنَّة، ومن صامَ يَوماً ابتِغاءَ وجهِ اللهِ خُتِمَ لهُ بهِ دخلَ الجنَّة، ومن تصدَّقَ بصدقةٍ ابتِغاءَ وجهِ اللهِ خُتِمَ له بهِا دخلَ الجنَّة). ورَوَى مسلمٌ في قصةِ المُحرِم الذي وقَصَتهُ ناقتُه، قال صلى الله عليه وسلم:( اغسِلُوه بماءٍ وسِدرٍ، وكفِنُوه في ثوبَيهِ، ولا تُخَمِّروا رأسَه، فإنَّه يُبعثُ يومَ القيامةِ مُلَبِّيا).**

**ومِن علاماتِ حُسنِ الخاتمةِ: أن يموتَ العبدُ صابراً مُحتسِباً بسببِ أحدِ الأمراضِ المَذكورةِ في حديثِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ومن ذلكَ: الموتُ بالطاعونِ، قال صلى الله عليه وسلم:( الطاعونُ شهادةٌ لكلِّ مسلم)، وكذلكَ الموتُ بمرضِ السِّل أو الحَرَقِ أو الغَرَق، روى الطَبَراني في الأوسطِ وحسَّنهُ المُنذِرِي قولَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم:( القتلُ في سبيلِ اللهِ شهادَة، والنُفَسَاءُ شَهادَة، والحَرَقُ شَهادَة، والغَرقُ شَهادَة، والسِّل شَهادَة، والبَطنُ شَهادَة).**

**فاتَّقُوا الله أيُّها المسلمون، اطلُبُوا من رّبِكم حُسنَ الخِتامِ، اطلُبُوا ذلكَ بأسبابِه وموجِباتِه، وبالبعدِ عمَّا يحولُ بينَكُم وبينَه. بارَكَ اللهَ لي ولَكُم في القرآنِ العظيم، ونفَعنِي وإيَّاكُم بما فيهِ من الآياتِ والذِّكرِ الحكيم. أقولُ قولِي هذا واستَغفِرُ اللهَ لي ولَكُم من كلِّ ذنبٍ، فاستَغفِرُوهُ إنَّهُ هُوَ الغفُورُ الرَّحيم.**

**الخطبة الثانية**

**الحمدُ للهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِل فلا هادِيَ له، وأشهدُ ألَّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه وسولُه. أمَّا بعدُ فإنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ في الدِّينِ بدعَة، وكلَّ بدعَةٍ ضلالَة، وعليكُم بجمَاعةِ المسلمين فإنَّ يدَ اللهِ على جماعةِ المسلمين، ومن شذَّ عنهُم شذَّ في النَّار.**

**اتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمون، اعملُوا لمصيرِكُم، وتأَهبُوا ليومِ رحيلِكم، وأعِيدُوا النَّظرَ في صحائِفكُم، وماذا أودَعتُموها؛ واعملُوا على ما يجعلُ السيءَ منها يُبدَّلُ حسناً، والحسنَ يضاعفُ أجرُه أضعافاً كثيرة، فإنَّكم في زمنِ الفُسحَةِ والمُهلِة، فما من نفسٍ تموتُ إلَّا تندَمُ، إن كانت محسِنةً ألَّا تكونَ ازدادَت مِن الإحسان، وإن كانت مسيئةً ألَّا تكونَ تخلَّصت قبلَ ذلكَ من سُوئها؛ ثم صلُّوا وسلِّموا على المبعوثِ بالهُدَى والنُّور.**

**اللّهمُ صلِّ على عبدِك ورسولِك محمد، وارضَ اللّهم عن الأربعةِ الخُلَفَا، الأئمَّةِ الحُنَفَا، أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي، وعن سائرِ أصحابِ نبيِّكَ أجمعين، وعن التَّابعينَ، ومن تبِعهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين. اللّهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، اللّهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذِلَّ الشركَ والمشركين والمنافقين، ودمِّر أعداءَ الدِّين. اللّهم أصلِح لنا دينَنَا الذي هُوَ عِصمَةُ أمرِنَا، وأصلِح لنَا دُنيانَا التي فيها معاشُنَا، وأصلِح لنا آخرتَنَا التي إليها معادُنا، واجعلِ اللهم الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خير، والموتَ راحةً لنا من كلِّ شرٍ يا ذا الجلالِ والإكرام. اللّهم يا مُقلِّبَ القلوبِ ثَبِّت قلوبَنَا على دينِك، اللّهم يا مقلِّب القلوبِ ثَبِّت قلوبَنَا على دينِك، اللهم يا مصرِّفَ القلوبِ صرِّف قلوبَنَا إلى طاعتِك، اللّهم أحسِن خاتِمتَنا في الأمورِ كلِّها، اللهم أحسن خاتمتَنا في الأمورِ كلِّها، وأجِرنا من خزيِ الدُّنيا وعذابِ الآخرِة. اللُّهم اغفِر للمؤمنينَ والمؤمنات، والمسلمينَ والمسلمات، وألِّف ذاتَ بينِهِم، واهدِهِم سُبُلَ السلام، وجنِّبهُم الفواحِشَ والآثام. اللّهم اغفِر لأمواتِ المسلمين الذين شَهِدُوا لكَ بالوَحدانِيَّة، ولنبيِّك بالرسالةِ، وماتُوا على ذلك، اللّهم اغفر لهُم وارحمهُم، وعافِهم واعفُ عنهُم، وأكرِم نُزُلَهم، ووسِع مُدخَلَهم، واغسِلهم بالماءِ والثلجِ والبَرَد، ونقِّهم من الذنوبِ والخَطَايا كما يُنقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَس. اللّهم اغفِر لعبدِك عبد اللهِ بنِ عبدِ العزيز، اللّهم أكرِم نُزُله وأحسِن مثوَاه، وأبدِلهُ داراً خيراً من دارِه، وأهلاً خيراً من أهلِه، اللّهم وبارِك في خَلَفِه سلمانَ بن عبدِ العزيز، اللّهم انصر به الإسلام، وأقِم به أركانَ الشريعة، واحمِ بهِ حمَى التوحيد.**

**سبحانَ ربِّك ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفُون، وسلامٌ على المرسلِين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.**